المبحث الرابع:
قراءة في مستقبل تركيا بعد نتائج الانتخابات الأخيرة

أظهرت نتائج الانتخابات النيابية الأخيرة في تركيا والتي جرت يوم 22 يوليو اكتساحاً لحزب العدالة والتنمية الحاكم، فقد حصل علي 47% من الأصوات محققا بذلك تقدماً كبيرا عن نتائج الانتخابات الماضية والتي جرت في نوفمبر 2002 م وحصل فيها الحزب علي 34% من الأصوات، وهو الحزب الذي استطاع تحقيق تقدما في الانتخابات الثانية له في تركيا علي مدي أكثر من خمسين عاماً.

ورغم أن الحزب حقق نسبة أعلي بفارق كبير عما كان عليه الأمر عام 2002 (363 مقعدا) لكنه حصل علي عدد أقل من المقاعد في ا لبرلمان الحالي (340مقعداً)، بسبب دخول حزب الحركة القومية إلي الحلبة السياسية وتجاوزه نسبة ال10% المطلوب الحصول عليها من أصوات الناخبين لتمثيل الحزب في البرلمان، فقد استطاع الحزب الأخير أن يحصل علي نسبة 14% ويكون له 71 مقعدا في البرلمان التركي، وذلك بسبب تأجج المشاعر القومية لدي المواطنين الأتراك وذلك للضغوط التي يمارسها حزب العمال الكردي علي الدولة التركية بما في ذلك إحداث تفجيرات كبيرة في العاصمة أنقرة راح ضحيتها العشرات فضلا عن الاشتباكات المتعددة علي الحدود مع العراق مع كوادر الحزب الذي يتمترسون في شمال العراق، وهناك تداع بين الأتراك جميعاً علي ضرورة القيام بعملية عسكرية ضخمة ضد قواعد الحزب وكوادره لكن أمريكا تقف ضد مثل هذه الخطط.

وتراجع نصيب حزب الشعب الجمهوري من المقاعد هو الآخر من 178 مقعدا إلي 110 مقعدا(حصل علي نسبة 21%) سيخسر منها عشرات المقاعد لحساب نواب حزب الوطن الأم ونواب حزب اليسار الديموقراطي الذين دخلوا الانتخابات النيابية تحت مظلة الحزب.

ويسمح الدستور التركي للمستقلين بدخول الانتخابات للمستقلين أيضاً، ولأنه غير مسموح بحزب كردي فإن الأكراد دخلوا الانتخابات مستقلين واستطاعوا أن يفوزوا بعدد كبير من المقاعد (27) مقعداً وهو ما قد يمكنهم في المستقبل من تكوين كتلة برلمانية تمكنهم من تكوين حزب لهم، ومن بين النواب المستقلين " محسن يازجى أوغلو " زعيم حزب الوحدة الكبري ذو التوجهات الإسلامية، وأيضاً زعيم حزب الوطن الأم " مسعود يلماز "، ويعد حزب الشعب الجمهوري وريث الكمالية التركية والمدافع العتيد عن العلمانية وحليف الجيش في مواجهة أي توجه إسلامي لتركيا هو أكثر الحزب التي منيت بخسارة في هذه الانتخابات، ذلك أن المواطن التركي عاقب ذلك الحزب بسبب مواقفه المتصلبة من حزب العدالة والتنمية حين أراد أن يطور النظام السياسي التركي نحو اختيار الرئيس مباشرة من الشعب، فهو من أخرج المظاهرات المليونية ضد حزب العدالة والتنمية لإرهابه وهو من تحالف مع المحكمة الدستورية العليا ومع الجيش بالطبع لمنع أي تطوير في الحياة السياسية التركية للانعتاق من سيطرة العسكر والبيروقراطية المتصلبة خاصة في الجامعات والتي تمنع الطالبات المحجبات من دخول الجامعات كما أنها هي التي تمنع خريجي مدارس الأئمة والخطباء من الالتحاق بالكليات الجامعية وتحاصر هذه المدارس التي مثلت في يوم من الأيام قاعدة مهمة للتعرف علي الإسلام والتواصل مع الشريعة الإسلامية والتعرف علي العالم الإسلامي.

ومن الواضح أن حزب السعادة التركي الذي يقوده " رجائي قوطان " وهو استمرار للأحزاب التي أسسها أبو الحركة الإسلامية المعاصرة في تركيا هو المهندس " نجم الدين أربقان " لم يستطع أن يحقق نسبة الـ 10% التي تمكنه من دخول البرلمان.

الإنجاز الرئيسي الذي شفع لحزب العدالة والتنمية لدي المواطن التركي هو الإنجاز الاقتصادي، فقد استطاع الحزب أن يقفز بمعدلات الدخول بشكل كبير في البلاد، كما استطاع جذب الاستثمارات الأجنبية للبلاد، وآخر تصريحات أردوغان بعد الفوز أنه لا يزال أمام مشوار للوصول بدخل المواطن التركي إلي عشرة آلاف دولار، كما أن البنك المركزي التركي أكد يوم (7/28) أنه لم يعد بحاجة إلي أية قروض من صندوق النقد الدولي، ماذا يمكننا أن نقول؟ نصر كبير أن يتحرر الاقتصاد التركي من هيمنة المؤسسات الأجنبية الامبريالية التي تمتص خيرات الاقتصاديات الإسلامية والعربية، وتفرض عليها أنماط محددة من التنمية الاقتصادية تضمن أن تظل فيها تابعة للاقتصاديات الغربية.

مستقبل تركيا بعد الانتخابات:

الوجهة الحضارية لتركيا وبوصلتها يبدو أنها تتحدد وتتبلور بشكل نهائي، هذه الوجهة الحضارية هي تغيير القبلة التركية من الغرب إلي مكة، فكل تماثيل " أتاتورك " الرجل الصنم - يشير فيها بأصبعه ناحية الغرب فهو القبلة التي يجب أن تصلي إليها تركيا، وهناك معلومات موثوقة أن " أتاتورك " في لحظة تاريخية معينة فكر أن يتحول بتركيا إلي المسيحية ولكنها استعصت عليه.

اليوم - بحمد الله - لدينا وزراء في حزب العدالة والتنمية أغلبهم حج

إلي بيت الله الحرام وعلي رأسهم " طيب أردوغان " و " عبد الله جول " ونساؤهم محجبات وعلي رأسهم زوجة أردوغان وزوجة عبد الله جول، ومن المعروف أن " أردوغان " لا يقيم في القصر المخصص لرئيس الوزراء بسبب أن زوجته ترتدي الحجاب، وهو يسكن في سكن خاص به، كما أن زوجته لا تشارك في المسائل البروتوكولية، لكن زوجته المحجبة وزوجة غول كانا في قلب مشهد الفوز بالنجاح الكاسح لحزب العدالة والتنمية.

هناك استحقاقات تنتظر الحزب وعلي رأسها إصلاح النظام السياسي التركي الذي أسسه دستور 1982 والذي وضعه العسكر بعد انقلاب عام 1980 وهو دستور كان يعبر وقتها عن رؤية العسكر متحالفين مع حزب الشعب الجمهوري وهو يكرس للكمالية والعلمانية (ففيه ثمانية مواد كاملة تدعم العلمانية الكمالية وتنص علي عدم المساس بها)، ولم تكن الكمالية العقيدة الفاشية المتصلبة العاجزة التي لا تنتمي للعصر الذي تعيشه تركيا أو العصر الذي يعيشه العالم موضعاً لأي نقد حتي جاء " تورجوت أوزال " زعيم حزب الوطن الأم ليؤسس فيما عرف بتركيا بالجمهورية الثانية، وهذه الجمهورية ترفض العقيدة الكمالية المتخلفة وتدعو لنقدها واعتبارها غير مناسبة للعصر، وأوزال هو أول رئيس تركي يؤدي فريضة الحج ويصلي علنا وبانتظام، لقد كانت الأتاتوركية تعتبر الصلاة جريمة، وهي لا تزال تري حجاب المرأة المسلمة جريمة فضلا عن بقية شعائر الإسلام وشرائعه، ولكن اليوم تركيا تستعيد وجهها الإسلامي فتجد المساجد تكتظ بالمصلين في اسطنبول وفي قونية وفي قيصري وفي أنقرة ذاتها العاصمة التي أسسها " أتاتورك " وهرب إليها حتي لا تلاحقه أنفاس العثمانيين التي تعبق كل

زاوية وجهة ومحلة ودار في عاصمة الخلافة ودار ا لإسلام.

لا تـزال العلمانيـة تقـاوم فـي تركيـا لكنهـا مـع الصـراع الحضـاري والتـاريخي الـدائر فـي تركيـا بقـوة اليـوم، والـذي نشـاهده فـي التنـازع بـين حزب العدالة والتنمية والأحزاب العلمانية الجيش والبيروقراطية العلمانية والمؤسسـات القانونيـة، مـع هـذا الصـراع فإنهـا أيديولوجيـة بـلا مسـتقبل، خاصـة وأن العلمانيـة الكماليـة لـم تسـتطع التحـرر مـن الوجـه القمعـي والاستبدادي لهـا والـذي يحـرم علـي زوجـة رئـيس الحكومـة أن تـدخل أي مؤسسة حكومية تعبر عن الدولـة لأنهـا ترتـدي الحجـاب، فهـي عقيـدة ضـد الإنسان وضد التاريخ وضد السنن التاريخية.

بعد الجمهورية الثانية التي أسسها " طورجوت أوزال "، اليوم يؤسس حزب العدالة والتنمية الجمهورية الثالثة، وهذه الجمهوريـة ربمـا تـنجح فـي تغييـر الدسـتور التركـي الـذي يمثـل عائقـاً للتطـور السياسـي والاجتمـاعي والإنساني، كمـا أن هنـاك خطـط جعل مـدة البرلمـان 4 سنوات بـدلا مـن 5 سنوات، واختيار رئيس الجمهورية من الشعب مباشرة وليس من البرلمـان كما هو حاصل الآن، وجعل مدة ولايتـه لمـرتين كل منهمـا 4 سـنوات بـدلا مـن مـرة واحـدة اليـوم مـدتها 7 سـنوات والأهـم مـن ذلـك كلـه اسـتعادة المؤسسـات السياسـية لـدورها فـي النظـام السياسـي والـذي يغتصـبها منـه الجيش عن طريق " مجلس الأمن القومي " وهو المجلس الذي يمثل إرادة العسكر ويملي الأجندة التـي لا راد لهـا علـي البرلمـان وهـو المجلـس الـذي أسس لمـا عـرف باسم " انقلاب مـا بعد الحداثـة " حيث فرض علـي أول رئيس وزراء إسلامي لتركيا " نجم الـدين أربكـان " الاسـتقالة لعـدم قدرتـه علـي الوفـاء بشـروط هـذا المجلـس، المعركـة الكبيـرة التـي يقودهـا حـزب العدالة والتنمية هي معركة استعادة النظام السياسـي المختطـف مـن الجيش

والقوي العلمانية لكي يتحرر من ضغوط العسكر وهيمنة البيروقراطية العلمانية.

وهذا الاستحقاق في تقديري هو الأهم والأكبر والأخطر، وقد يساعد هذا الاستحقاق علي أن يأتي لسدة الرئاسة في تركيا رئيس مسلم وعلي عكس ما هو شائع فإن الرئيس التركي له صلاحيات هائلة وكبيرة وواسعة لايستهان بها أبدا ولكنه في المقابل لا يتحمل أية مسئوليات، ومن ثم مجئ رئيس من العدالة والتنمية لتركيا سوف يغير في تقديرنا المشهد القائم لصالح استعادة هوية تركيا الحضارية والإسلامية.

منهج نظر الإسلاميين لتركيا:

كيف ينظر الإسلاميون للتحولات التاريخية الكبيرة التي تحدث في تركيا اليوم؟ هذا سؤال مهم علينا أن نحمل عقلا كالعقل التركي حين نجيب عليه، أذكر أن أحد كوادر حزب الرفاه الكبار قال لي " إن العقل التركي كما يعرفه الغرب عقل كبير، ومن ثم فكل الجهد الذي يبذلونه هو من أجل السيطرة علي هذا العقل وتخريبه، الحركة الإسلامية التركية ورثت تقاليد دولة امبراطورية كبيرة دخلت في حرب وفي تفاوض وفي ديبلوماسية عاتية مع العالم الغربي، ومن يقرأ التاريخ العثماني يعرف كيف استطاع أحد الساسة الكبار " السلطان عبد الحميد 1876 - 1908 " أن يؤخر سقوط الدولة التي كانت قد ضعفت وتكالب عليها الغرب كما تتكالب الأكلة علي القصعة، والتاريخ العثماني ملئ بالقدرة علي توظيف التناقضات بين الخصوم وتوظيف السياسة الغربية لصالح الدولة، الحركة ا لإسلامية ورثت هذه التقاليد ومن ثم هي لديها تصور نحو الانتقال بتركيا من المحنة التي وضعها فيها " أتاتورك " إلي وضع تكون أملك فيه لأربها وقرارها.

وهذا شأن تغيير مصير دولة هي أحد الدولة المركزية في المنطقة، وتغيير هذه المصير لا يتقرر بين يوم وليلة، كما أن أصحاب المصالح العلمانيين وأصحاب المصالح الدوليين من الصعب عليهم ترك تركيا لتفلت من خيوط العنكبوت التي لفت بأحكام حول روحها وكل خلجة فيها، ومن ثم فعلي الإسلاميين في عالمنا العربي بالذات النظر إلي تركيا من منظور السياسة الشرعية التي تقدر ريح التغير الحضاري العام وتقدر اتجاهه وبوصلته، وإن أكبر ما يمكن أن ينجز في بلد كبير ومهم كتركيا هو تحررها من رجس العلمانية الكمالية، فإذا كان هذا هو الاتجاه وتلك هي الريح فهي بإذن الله ريح طيبة وهو ما قرره علماء الأصول في ذلك وهو " دفع المفاسد العليا بتحمل الأدني "، وإذا كنا نقول أن أمر تغيير الإنسان الفرد يحتاج إلي سياسة ومناهج وصبر وأناة فما بالك بتغيير دول كبيرة وضخمة كدولة مثل تركيا.

المعيار الذي نحكم به علي التحول الجاري في تركيا هو معيار وجهة التحول والتغيير وبوصلته وقبلته، ومعيار استعادة الوجه الإسلامي لمكانته، ومعيار استعادة الروح الحضارية والبعث الإسلامي.

حين ذهبت لأول مرة لتركيا عام 2002 لجمع مادة رسالتي للدكتوراه، كان همي ا لأول هو كيف سنصلي؟ وأين؟ وكان ذلك بين المغرب والعشاء وبينما أنا غارق في تساؤلاتي إذ بصوت المؤذن الرائع الجميل يهز اسطنبول ويكاد يرفعها، كانت المساجد كلها تصدر عن صوت واحد جميل وفي أول مسجد قابلني دخلت وصليت وتعرفت علي إمامه الذي كان يتكلم العربية فهو من خريجي مدارس الأئمة والخطباء وكان خير عون لي في رحلتي الطويلة التي استمرت شهرين.

كذا تركيا اليوم هي البلد المسلم الوحيد الكبير الذي يملك تقاليد

مؤسسية وسياسية واجتماعية واقتصادية تمكنه من أن يكون له دور رائد في منطقة تتعرض كل نظمها للضغوط والفوضى، إن تركيا اليوم بتوجهها ببوصلتها ناحية محيطها الشرقي يمكن أن تلعب دورا قائدا وكبيرا ومحوريا يمكن أن توازن فيه كدولة سنية كبيرة مع إيران كما يمكن أن تكون لاعباً مهماً لدعم الحقوق السنية المهدرة في ظل الاحتلال الأمريكي والحكومات الطائفية المرتبطة به.

النهوض الاقتصادي الكبير لتركيا سوف يهيئ لها استعادة مكانتها كلاعب إقليمي في المنطقة، ولا يجوز لنا أن ننسي أن البرلمان التركي صوت ضد استخدام الأراضي التركية لضرب العراق عام 2003 م، وكان ذلك في ظل حكومة العدالة والتنمية، ويمكن أن تكون تركيا مع العرب لاعباً مهماً للحفاظ علي وحدة العراق واستقرار المنطقة. **فوز** حزب العدالة والتنمية هو حدث داخلي له وجه إقليمي، فتركيا هي الدولة الوحيدة تقريباً التي تمتلك نظاماً ومؤسسات في دول تتراجع فيها المؤسسات ومن ثم فهي قادرة علي أن يكون له دور للحفاظ علي المنطقة من خطر الفوضي التي تحيق بها.

* * *